

محمد ناصح الطبري



والليل ليس يضيح قلت رجاه طعن

فعد يا قلبه فذ الة اكنن لفيقا

تجمل فالسغنية ثم تعد للذن

والملاح يكسر

دفة البرع



الطبري

شعر

منزل امير الليل

الشاعر

محمد ناطق الحديدي



مزامير الليل

على كرسيه جسداً ومالا
ورقرق أدمعاً وشكاهُ حالا
ولا ريحٍ فحطَّ بها الرحالا
وأغمدت المضارب والنصالا
تلوكُ يقينَ سحركَ والضلالا
مصلبةً وأنات حبالا
يخادعك السراب وما تلالا
وأودع يوسفُ فيها الجمالا
مرملةً وما فقدت رجالا
ولا تركتُ لغاربها حبالا
سوى التسبيح لا يرجو مآلا
وشاخ لِمَا تَقَلَّبَ أو توالى
نبيُّ منه يلتمسُ الظلالا
فما حبُّ الديارِ شغلنَ بالا
يحاكي ما بساحته اشتعالا
تُشيبُ الطفلَ ما بلغَ الفصالا
مخاضٌ صالٌ في دمها وجالا
وجفَّ الثديُّ كيفَ تردُّ آلا
فأمطرَ من مدامعه اقتتالا

أرح جفنيك هذا الليل ألقى
وأثبَّ نجمه فأهاج حزناً
وسافر في رؤاهُ بلا شرعٍ
أرح جفنيك فيمَ كشفت جرحاً
فتلك عصاك ثعبانٌ ميينُ
وأنت على جذوع الطورِ روحُ
تذكرت البلاد ولست فيها
كأن رمى بها يعقوب حزناً
تلظت في محاجرها دموعُ
معاذ الصبر لا شقت جيوباً
ولكن يونسُ في بطنِ حوتٍ
نمى اليقطينُ وانصرفت دهورُ
عليه من الزمان وليس يأتي
أرح جفنأً واخلٍ لديك جفنأً
تذكر أهله فأضاء نجمُ
ومزقت الدجى صرخات أمٍ
يفاجئها وليس هناك جذعُ
فلا التابوت في يمٍ ترجتُ
تناثر من صبايته رصاصاً

دمٌ كذبٌ يضرجه احتيالا
 حبيته من الذكرى خيالا
 بوادِ القدسِ ينفجرُ احتمالا
 ترنمه مزاميرٌ ثكالي
 فأبصرَ وصلها شيئاً محالا
 يُجنُّ بها جنوناً واختيالا
 همُّ به بهمُ بها سجالا
 ومازالت تتيه به اختيالا
 تفوقُ البدرَ دلاً واكتمالا
 وحقك ما تعداك مقالا
 وأنتِ الأهلُ ما هابوا النزالا
 وما ألفى لها أبداً مثالا
 وتسهيذاً ودمعاً واعتلالا

وقد لهُ قميصٌ من حديدٍ
 وأجهشه النشيجُ وقد تراءت
 فأنسَ نارها تخبو وأمسي
 تهدجَ صوتها ليشقَّ حلماً
 وردد في صداها ألفُ جرح
 وكاد لِمَا تشظى في هواها
 حبيته حينُ سرمدِي
 مَضَتْ سبغٌ عِجافٌ في دماها
 ومازالت بهذات الليالي
 أبغداد الليالي الألفِ عذراً
 فأنتِ بلاده ما هنتِ يوماً
 وأنتِ حبيبةٌ كم هامٍ فيها
 فدى جفنيك جفناه اصطباراً

لُعْتِي تَنَازِعُ

لُعْتِي تَنَازِعُ

لا تلمني إن بصقت على جراح الصيف

أو ألقيتُ جُرْحِي خَارِجاً

فالروحُ لا تغدو كروحِي إن تباعدت الأماكُنُ

وانشَقَّ حزنٌ طالما أَلْفَيْتُهُ في صرختي

يئدُ المساكنُ

لا تَمْتَنِعُ

فالنارُ ذاتُ النارِ

سارقُها يخادعُ آلهةً^(١)

من بعد ما ألقى وشاحَ الغيبِ

واستلقى يُقَلِّبُ تُرَّهَاتٍ فارغةً

ويعوتُ في هذا الفراغِ القابعِ المغروزِ في لمعاتِ جيبٍ ...

لُعْتِي تَنَازِعُ

أبتغيها في دمارِ البُعْدِ في أصقاعِ فرقةِ الأصابعِ بعد تقبيلِ طويلِ

يا أَلْفُ جُرْحٍ يا عويلِ

أتراك سيدي تنامينَ المساءَ هناكَ دونَ أصابعي

فالبردُ كسَّرها وأنتِ على المدافئِ تحلمينُ

بجزائرِ

(١) في الأساطير اليونانية أن برومئوس قام بسرقة النار من الآلهة لأجل البشر.

وحرائرٍ
 أو تكتبين
 كَلِمَاتِنَا قَبْلَ الْأَخِيرَةِ
 يوم انتفضتُ على الضفيرة
 وطلبتُ فرشاً من ظلالِكِ , أيها الحزنُ المُعبأُ بالتراتيلِ الطويلةُ
 أطفئِ سراجَ الروحِ , أوقدها
 في شوقٍ يُمزقُ سورةَ الإسفلتِ
 في عَقبي النحيلةُ.....
 أتذكرُ الماضيِ , بقايا الروحِ , أصحابي , وبعضَ الأمكنةِ
 يا ما طلبتُ من السماءِ وصرتُ قسيماً
 على ثغرٍ تُدافعُ عنه كُلُّ الأحصنةِ
 يا ما تقيأتُ المدائنَ والمآذنَ والقصورَ المُتقنةِ
 أقسمتُ فيكِ سليلَةَ الخوفِ المشوقِ إلى جهنمِ ,
 يا إلهي لستُ أدري ما لذي
 أرجوه والمدنُ الغريبةُ تعتلي كتفي
 وأنتَ تقلبُ الموجَ الذي ألقى سفينةَ نوحٍ
 أتري أنوحٍ
 سأموتُ بعضَ الوقتِ حتى تُبعثَ المدنُ الغريبةِ
 سأموتُ بعضَ الوقتِ ليسَ هناكِ إلَّا للكوايسِ التماعَةُ
 وجميعُ ما أبغيه من لُغتي تلاشى كالْفُقاعةِ

سأموتُ سيدي فلا تستعجلي جسدي ولا تُغَيِّبِ النديَّةَ
لا تقراي بعدي الوصيَّةُ
لُغَيِّبِ تُنَارِعُ

يا أبانا

يا أبانا

صوتك الخافت يقات مع الريح دمانا

يا أبانا

جرحنا يصرخ فيك

جرحنا ينزف منك

وبساتين النخيل

غادرتنا...

قصقت أجنحة الصبح شراعا

وتغنت بالأراجيف وما قالت وداعا

أيقضتنا بعد إغفاءة عمر

وشربنا سعتها الأصفر تمر

وتضاحكنا بكاء

وابتسمنا للنشيج

ونظرنا

عرقها أصبح حمراً

أي جمر

يوقد الكون مكاناً وزمانا

يا أبانا

* * * * *

يا أبانا

قد ذهبنا في الضحى نرتع كالأطفالِ في الهَمِّ وتلعبُ

فنسينا يوسفًا عندَ متاعِ الروحِ يلهو

ما حسبناهُ سيذهبُ

ما حسبناهُ يقودُ الذئبَ للبئرِ مساءً

ما أتينا بالقميصِ

ما صبغناه دماءً

أنتَ تعلمُ

أنتَ تعلمُ

فلماذا يُصبحُ الظالمُ أظلمُ

ولماذا حُزننا يُمسي حزيناً

لستُ أفهمُ

هل سوانا نحنُ أبناؤكَ قل لي هل سوانا

يا أبانا

ليس لي وداع

سأرحلُ حتى تنفدَ الأرضُ عندها
أعودُ وكفي في دمائي أجْرُها
أعودُ فلا ظلُّ يلاحقُ خطوتي
أعودُ ولكن لا أعود كأنما
تجشمتُ هذي الروح ملءَ حقيبي
فلي في خبايا الصخرِ عمرٌ مُغيبٌ
كأنني وقد جاوزت عمري وأطرقت
أفجر فاء الحرف حتى يذيني
سأزرع دمي في غياهب حزنها
وقفت وفي أنفاسها ألف قصة
أسألها أن تستكين فليس لي
تقاسمتِ الأجساد كل وروحها
دعي دمعك المسفوحَ نَحْلِيهِ بعدما
وَحَلِّي سؤالي أن أكفَّ فأنما
سأرحل حتى تنفدَ الأرضُ عندها

أعودُ فلا قلبٌ سيعرف ما بي
أخط بها الأعوام فوق ثيابي
ولا غيمةٌ تقفو رذاذَ سراي
ذهابي إيابٌ والإياب ذهابي
فألقيتُ منها في الطريقِ شبابي
ولي في تُرابِ الأرضِ أيُّ تُرابِ
مسافاته تتلو عليَّ كتابي
وأغرز في جنبي كل حراي
لتنتب أنهارا تكون شرابي
وفي ليلها المنثور ألف شهاب
وداع وألقي في السؤال جوابي
فكنتِ وحق الله أنتِ نصابي
أسيرُ فصبري إذ بكيتِ كباي
سؤالك أن أبقى يزيد عذابي
أعودُ فلا قلبٌ سيعرف ما بي

جنية الدمع

سأعيدُ فتح دفاتري
 وأفتش الورق الممزق والبقايا المستميتة منذ آلاف القرون
 أرتب السأم الممرغ بالحكايا والصغار
 سأعيد جدولة القصائد والمصائد والتراب
 وهداة الليل المقيتة والنهار
 عبثاً أحاول أن أقول بأنني
 لن اكتب الحزن الأخير ولن أعود
 فلقد سئمت من الوعود, لقد سئمت من الوعود
 وصهيل أقداح البنفسج صار ييكي مثل هينمة لأم هدها هز المهود
 وأصابعي ليست على ما كنت يا جنية الدمع الطفولي المنمق تعهدين
 فلقد أذابتها السنين
 وشرعت أبحث عن حروف لا ترتب بالأصابع
 حيث في صمت التمني كنت يوماً تكتبين
 فهدني بعد المزار
 لا عمر يا جنية الدمع الطفولي المنمق بعد ليلك
 لا مراكب لا ثياب
 لا أنة, لا رجفة فالموت أقرب من قريب
 والمدامع آسنة
 قسماً بأني لن أغرغر يا صديق بغير ذياك الشراب

عدني بأني لست أدفن في التراب
 عدني بأني لئن أمر بكل أصناف العذاب
 يكفي جهنم وحدثي ما فيه من حجر ونار
 جنية الدمع الطفولي المنمق صار جرحي
 ماثلاً بين الرمال صليبه والأغنياتُ
 تعدو ولا ريح ترجع صرختي ، لا ذكرياتُ
 ماذا تبقى في جيوب الشاعر المثقوبة الجدران
 غير لفافةٍ كادت تدخنها الجهاتُ؟
 ماذا سيكتب إذ يغادر غُلبَةَ الليل الممدد
 في الشوارع حين تسحبه عليه الأمنياتُ؟
 ماذا ستعربه اللغاتُ؟
 هو فاعل لكن فعل الأمر غَيَّبَ ذكرَهُ ... ثمَّ المماتُ
 وثبت جراحاتُ السنين فكادت الطرقات تمضغُ
 طينها من شدة الألم الموزع بالنشيج
 وهناك ليس هناك غير عيونك الأبدية
 الغرقى بسحرك والأريج
 وقصيدة أخرى على شطآن ليلك ترمي
 حيرى يبعثرها الشتاتُ
 إني لأعجب كيف يسألُ (عنتر العبسي) عن
 مَوْضوعَةٍ والأعينُ السوداءُ تحملها البناتُ

هاك اصطباري

هاك اصطباري

ما عاد يجدي, فالمساء يدوس في حقدِ نھاري

لم اغتصبُ أحداً

ولم أطلقَ على أحدٍ رصاص الجوع

لم أسرقُ رغيفاً

لم أقحم الأطفال في الألغام

لم أقرأ على الرمل السلام

لم أحرقِ الناموسَ

لم أجعلُ شتاءاتي خريفاً

هل ثمَّ عيبٌ أن يكون المرءُ إنساناً شريفاً !!!

هل ثمَّ ذنبٌ لي إذا لم تفرق الدنيا بحاري

هاك اصطباري

ما عاد يجدي فالمساء يدوس في حقدِ نھاري

* * * * *

ما زال يطفؤني لهيبك في نھار الصيف

(الصيف ضيعت اللبن)

وعلى جراحك وردة

وعلى ذراعيك الكفن

وطن, وطن

ومدينة أخرى تعودُ
تعودُ من أرضٍ بعيدة
يا للقصيدة

حتى الطيورُ تقولُ أشياءً بليدة
وتعلقُ القربان من رثي، تقربه إلى كف الوثن
وتُجِلُّ آلهةَ الصحاري
هاك اصطباري

ما عاد يجدي فلمساء يدوس في حقد نُهاري
* * * * *

تبقى تسافر من جدار الصمتِ حتى المستحيلُ
وتضيعُ أجنحةَ الخرافةِ في دروبك
فالدروبُ إذا استطالَ الصمتُ فيها تستطيلُ
دَرَبٌ يجيءُ ويذهبُ
في الدربِ طفلٌ يلعبُ
في الطفلِ قلبٌ ذائبُ
في القلبِ نبضٌ متعبُ
في النبضِ دربٌ واحدُ
دَرَبٌ يجيءُ ويذهبُ
ويطولُ في الدربِ انتظاري

هاك اصطباري ، ما عاد يجدي فالمساء يدوس في حقد نُهاري

العِيدُ يَكْذِبُ

كَمْ يَكْذِبُ العِيدُ

يَنْثُرُ ضَحْكَةً شَوْهَاءَ

تَصْطَلُكُ الأَنَامِلُ فِيهِ دُونَ تَحِيَّةٍ

تَطْفُو بِقَايَا دَمْعَةٍ أَفْلَتْ شَمُوسُ العَالَمِينَ بِبِحْرِهَا

غَاصَتْ وَخَلَّتْ جُرْحَنَا المَغْرُوزَ دُونَ ضَمَادَةٍ

أَفْلَتْ بِدُونَ شُعَاعِ شَمْعَتِنَا القَدِيمَةِ

لَا يَا هِظِيمَةَ (٢)

(كُلُّ عَامٍ وَأَنْتَ بَخِيرٌ) وَالْحَلْمُ المُسَجَّى بَيْنَ أَكْفَانِ

الدَعَارَةِ يُنْجِبُ المَوْتَ اللَقِيطُ

وَالرُّوحُ يَخْنُقُهَا الغَطِيطُ

هَلْ كَانَ غَيْرَ قَدَاسَةِ الكَلِمَاتِ شَيْءٌ فِي دَمِي

يَسْتَنْجِدُ الرِّيحَ العَقِيمَةَ

لَا يَا هِظِيمَةَ (

يَا قَابِعاً فِي نَشْوَةِ الكَلِمَاتِ تَكْتُبُهَا هُنَا

تُلْقِي (صَبَاحَ الخَيْرِ) فِي بَالِوَعَةِ التَّارِيخِ

يَمْضَعُهَا كَمَا القَوَادِةُ الشَّمْطَاءُ تَمْضَعُ عَلكَهَا

حَتَّى يَشِيخُ

أَوْ قَدْ لَنَا شَيْئاً بِهَذَا العِيدِ

(٢) مَا بَيْنَ الأَفْوَاسِ فِي القَصِيدَةِ بِاللُّهْجَةِ العَامِيَةِ

أرواحا

وأفداحا، يخادعها النشيد

(كل عام وانت بخير) يا رمل الشواطئ حيث

لا موجٌ يغازلُ غربةَ الصفصاف

لا ريشٌ على أطراف نورسك الحزين

ونداك يُذبحُ من وتين العشق في جنبات جرفك

للوتين

(كل عام وانت بخير) والسفن الغريقة فيك

دون مرافيء والرعد يزأر والبروق بدون

ليلي أسفرت عن وجهها المنزوع من أثر الخرافة

والشعر تخنق صوته عللٌ وتسحبه زحافة

(كل عام وانت بخير) يا صوتا بلا قيثارة

يا رجعة الأمل المسافر في مساء يستفيق بلا صباح

وتبيعه بخسًا لنخاس الطقوس بقية من آل

فرعونٍ استباح حرمه الماء القراح

يكفيك يا زمن النباح

يكفيك ما كلبت أو كلبت فينا دون ذنب أو جريرة

يكفيك ما فعلت بنا هذي المآسي من الجراح

واستبدلت أنفاسنا غصصاً مريرة

(كل عام وانت بخير) يا تلمود شهقتها

لَكُمْ أَشْتَاقُ لِللَّيْلِ الطَّوِيلِ
 وَجِبَالِهَا التَّلْجِيَّةِ انْحَسَرَتْ ثُلُوجُ الْقِمَّةِ السَّمَرَاءِ
 عَنْهَا كَالْأَصِيلِ
 وَجِبَالِهَا الصَّوْتِيَّةِ انْقَطَعَتْ فَحَشْرَجَةُ الْأَنْوَاثِ
 بَيْنَ أَشْبَاحِي تَمِيلُ
 يَا خَمْرَهَا الْمَعْصُورَ مِنْ كَرَمِي أَتَذَكُرُ قِصَّتِي
 وَالْعَيْدُ أَيْنَ الْعَيْدُ يَا هَذَا الْعَوِيلُ
 (كُلُّ عَامٍ وَأَنْتَ بِخَيْرٍ) أَسْتَبْقِيكَ عُذْرًا
 يَا شَقِيقَ الرُّوحِ
 فَالْفَرْحُ اسْتِحَالَ إِلَى مَهَازِلَ مَسْرُحِيَّةٍ
 فَعَلَيْكَ لَنْ أَلْقِيَ التَّحِيَّةَ
 فَالْعَيْدُ يَكْذِبُ يَا صَدِيقُ

تساويح كربلائية

طيفٌ من الطَّفِّ استراحَ على جفونِ النائحات
 ودمٌ بلا شريانِه
 عَبَقٌ بأحزانِ الشروع
 قَلْبَ التماثِمِ في دموعي أُجْمَا
 والصمتُ آذَنَ بالرجوع
 وحى إليَّ يصيحُ يا أبتاهُ أهلكنا الظما
 ويقولُ ها أنا ذا أعود
 أينَ الشهود ، أينَ العهود
 وإذا الحسينُ على جوادِ الريحِ يستَبِقُ الرعود
 ويُمزِقُ الكفنَ المُضَرَّجَ بالضياء
 ويدقُّ أبوابَ الرجاء
 ويهدِّمُ الأسوارَ ينفخُ في رميمِ العشقِ روحَ الكبرياء
 مازالَ يهزأُ بالخُرَافَةِ عابثاً
 بأصابعِ الحُكَّامِ
 مازالَ ينتهرُ البكاء
 ويهزُّ سيفَ المكرماتِ ويزرعُ الحلمَ الجديد
 ويصيحُ رأسي في رماحِ العَدْرِ فاصمتِ يا نشيدُ
 * * * * *
 آهٍ على الحرفِ المُسَبَّحِ في أماسي كربلاء

ولفيف أفاقين يعتلفون خُبزتنا ويرتضعون
أثناء الدعاء

أشياءنا جمدت فلا وجه هنا

وأرى أمية تستبيح نساءنا

وتهر في وجه القمر

غاب القمر

والشمس تجري والشعاع على جوانبها هوى

وأشار إيماء لأحزان الملايين الذليلة وانتحر

ما عدت أدري الآن أيهما الإله الواحد المعبود

في مبعى السياسة

هذا البشر

أم أنه ذاك الحجر

* * * * *

وتململت أحزان (زينب) بين صيحات الثكالي

وصراخ طفل بين أشلاء ممزقة تعالى

(مات الذين أحبهم واللوز يزهر كل عام)^(٣)

والسيد المعتوه ينزع من على وجهي اللثام

أين الحسين ، أين الحسين

(٣) للشاعر العربي الفلسطيني محمود درويش.

حائط المبكى

أبكي إذا رأيتك
 منذُ زمان لا أرى
 إلّاكِ في أنتِ
 سيدتي
 يا زمنًا غادرَ دونَ وعيه
 مكتنفًا بالصمتِ
 أينكِ أنتِ يا أنا
 أينكِ أنتِ أنتِ
 ضاعتُ على حروفنا
 أشياءنا القديمة
 وفي فتورٍ سرّتِ
 وقلتِ ماذا ما تريدُ إنني
 أحتاجُ للصمتِ
 يا للسماءِ والرعودِ والهوى
 والمُدنُ العاشقةُ اصطفي جموعَ حزني النابتِ
 أيّ نبتِ
 أينَ السماءُ عنكِ حينَ قلتِ
 وأنتِ مَنْ كنتِ
 تبعثرينَ العُمَرَ قُدّاميَ ساعاتٍ وتُغرّينَ الندى

أن يقطفَ الوردة
 يا سماءنا السبيّة
 عودي أليّ أرجعي
 فهذه
 دموعي الغالية التي لها
 صحراؤها النديّة
 وعشبةٌ واحدةٌ
 تحرقُ كلَّ أحرفِ الصمتِ تلاشى فيك ذكرياتي
 وقُبلةٌ أولى
 وهمماتُ شوقٍ كنتُ لا أعرفُهُ
 وصرتُ كم اغرّفُهُ
 وكم أناجيه إذا لآلاً ليلٌ دونَ أنفاسك يا سيدي
 سيدي
 سيدي
 سيدي
 يا حُزنَ كُلِّ دَمْعَةٍ
 مُدْ خَلَقَ اللهُ جَمِيعَ الخَلْقِ فِي إِمَاعَةٍ
 وَأَشْهَدَ الجَمْعُ عَلَى قُدْرَتِهِ
 يَوْمَ انْتَقَى مِنْ أَضْلَعِي حَوَاعِمَهَا
 وَدَسَّ فِي جُعبَتِهِ

أشياءها
 أشياءها
 أشياءنا القديمة
 وتلكم النديمة
 والكأس دون ساقِي
 والرأس دون ساقِي
 وخوفها
 يا حيرة الأطباق
 فالسُّكَّرُ استفاق من إغفائه والملعقة
 توشك أن تطوله فتلعقه
 (والريح تلهث بالهجيرة كالجنام على الأصيل)^(٤)
 وآه (فراقِدُ)
 حزني الآن استحم بصرخي
 لم تستطع إخفائه نظارتي
 وأناقتي
 وأنا أنا
 إني أحبك يا أنا سيدتي
 وهربت من حزني ومنك
 لم أستفق حتى استفاق محاربي

(٤) للشاعر العراقي بدر شاكر السياب من قصيدة (غريب عن الخليج).

وجثى يُريدُ الاستراحة
 والعُمُرُ بينَ يديكَ راحة
 وبدونها تخييطُ طفلٍ هاربٍ
 لم أستفق حتى استفاقَ محاربي.....
 وبحثتُ بينَ عيونها
 عن عينِكَ السحرية
 وزهورها البرية
 وكلامها
 لا تبتعد، لا تبتعد
 بل ضمّني عَلَيَّ أذوقُ تلاشيًا فيكَ اقترِبُ
 كانَ الذي قد كانَ يا ما كانَ
 أينَ الرَّبُّ يُلقيني أريدُ الآنَ
 أنَ أعترفُ
 فأنا كذبتُ عليكِ أكثرَ من حكاية
 وغفرتُها
 وأمرتُها
 أنَ تسجُدَ الليلَ الطويلَ نكايَةً بضعفيرةٍ
 لم تنشريها في صحيفةٍ أضلعي
 لكنني لا أملكُ الآنَ الكذبَ
 لأقولَ إني نسيْتُكَ واللعبَ

فأنا أنا
يا حائطَ المبكى تباعدَ أو دني
فأنا هنا

كانت وكنت

كانت هنا
أرجوحة تستجلبُ الربيع
وسبعَ سنبلاتٍ فوقها الندى
وأدمعي... والزبدُ الأخضرُ خلفَ البرتقالِ يحتمي
يبعثُ المدى
أما أنا
فكنتُ كفَ الطفلِ في أرجوحة الربيع
وأدمعَ الصدى
والزبدُ الأخضرُ خلفي يملأُ السلال
قشورَ برتقال...

الفانوس الشرقي

وغزلتُ صمتَ الفجرِ لي أحلاما
 وسددتُ أرصفةً تموجُ غراما
 فانوسها الشرقيّ ، قلتُ سلاما
 وغدّتُ بيوتاتُ اللهبِ حُطاما
 وتموتُ من غَزَلِ الرمالِ صياما
 شفتانِ شدّتْ بالعناقِ زاماما
 عيناكِ والليلِ الكَتومُ ندامي
 مدٌّ وجزرٌ في بحاركِ قاما
 والموجُ يقبلُ ثم يدبرُ عاما
 تفاحةٌ؟ كأسٌ توضعُ مداما؟
 صدري ، قناديلي ، وجرحي ناما
 ورذاذُ نورسيّ المفضّضِ عاما
 بصلاةِ عصفورٍ يثمّ حَماما
 يحيي من الصمتِ النبيّ عظاما
 فتملّمَ الزجلُ الشجويّ كلاما

أقفلتُ أبوابَ الهوى أياما
 وصلبتُ بالعشقِ الملضى أنجمي
 وركلتُ أقدارَ الخريفِ مُحَدّقاً
 قالتُ تعبتُ وفي الاصابعِ رعشةُ
 صبيرةٌ قد كُنْتُ تَجْرَحُ نَفْسَهَا
 أنا شارةٌ بِمَحَطَّةٍ وَقَفْتُ بِهَا
 رَشَفْتُ فَكَّاسٌ بَعْدَ كَاسٍ عَرَبِدَتْ
 خبأتُ في الصدفِ البكاءَ أَكَلَّمَا
 وهناكِ مرساتي ودَفَّةٌ أضلعي
 حَدَقْتُ مَاذَا فِي الْمَسَاءِ ، بِنَفْسِجٍ؟
 وملاحي ضاعتُ ، سنيّ محبتي
 هذا المساءُ يشظُّ من حزني دَمًا
 جفت سماواتي وبيتي مشعلٌ
 لم أنطفيء فالحرفُ فيّ معتقٌ
 لكن وضعتُ على أسايِ أصابعي

ظلال المرايا

متى تستفيق دمائي لديك
 وتحفر أرض العطايا يدايا
 متى أبصرُ العمرَ حُلماً ندياً
 وعُشباً شهياً
 وأشباحَ زهر ترفرفُ عجلي
 تنوحُ تنوحُ وتبكي الخطايا
 متى تستفيقُ متى تستفيقُ
 أفيكَ من الله شيءٌ سوايا
 تعبتُ إلامَ أرثُلُ حزني
 وأوقدُ من هداة الشاطئينِ
 رحيلاً يسابقُ ريحَ التمني
 وأنسابُ فيك انسيابَ الربيعِ
 أكذبُ فيك يقيني وظنِّي
 وفتشتُ عنك دروبَ الأماسي
 أقاليم شعري، طباقي، جناسي
 وجدتك لكن
 وجدتك طيرا ، وجدتك صدرا
 مليءً مليءً بهذي الشظايا
 وقد كنتُ فيها ظلال المرايا

كفرت فيك

ماذا أسمىك كنت الأمس سيدتي
 تئاب الموت يغري نبض أوردتي
 يا خمرة الزيف بالأكواب مسكرتي
 أنا الملوم فلا ألقى بلائمي
 بلا جناح فككت فيه أزميني
 عذرا جراحي وما جدواك معذرتي
 ماذا أقول لأحزاني وثنائرتي
 وأن صمت فأخطابي وموقدتي
 تخونني فيه أفكاري وذاكرتي
 لا آهة في حنايا الروح منقذتي
 ما كنت أحسب في عينيك مقبرتي
 مرتلاً لحنك المحموم من شفتي
 (ولا يزال شذاها ملء صومعتي)^(٥)
 أستغفر الحب يا ذنبي ومعصيتي
 على الرصيف وداعاتي وأمتعتي
 لقد عقرت على الأنصاب أضحيتي
 إن أغرق الغضب الطوفان أوديتي
 تكون ناعورتي الجذلي وساقيتي

ناحت على عتبات الروح أغنيتي
 وكنت إشراقة الحلم الجميل إذا
 هاك اسمعي يا سرايا كنت أتبعه
 وضعت عمري على كفيك أضحية
 ودرت في فلك الأوهام أقطعه
 ما أثمر الحب لي غير الأسى ثمرا
 ماذا أقول لأنفاسي التي احترقت
 إذا نطقت تلوب الروح من أسف
 تلفني بجحيم لست أعرفه
 لا غيمة الدمع تطفيها لمطرها
 ما كنت أعرف أن الغدر يقتلني
 كم لي قلب مزمارا على شفة
 مازالت القبلة الأولى تداعبني
 أستغفر الحب منك الآن يا كذبا
 يا مرفأ السفن الغرقى أما وجدت
 كفرت فيك فلا هدي ولا نسك
 ألسنت من أقسمت أن تبتني جبلا
 وإن أغار على أشواقنا عطش

(٥) نزار قباني

بالأمس أمطرتكِ الأشعارَ مبتهلاً
 لا لستُ آسفٌ إن فارقتُ حائنةً
 يكادُ حربي يذوبُ الآن منكسراً
 أنتِ قهوتي السوداءَ أرشفها
 يا من تعللتِ بالأقدارِ واهمةً
 تبقى لديَّ نجومٌ الليل صاريةً
 فاليومَ تقلعُ جذرَ السوسِ زوبعي
 بل حسرتي أنني تَوَجَّهْتُها ثقتي
 أنتِ من ظللتِ في غيِّها لغتي
 أنتِ إغفاءةُ التدخينِ في رثي
 أقداركِ السودُ لن تغتالَ حنجرتي
 وينشرُ الليلُ هذا الكونَ أشرعتي

تصريح

(ثنائية احزن والنجوم)

وخرجتُ من بين المقابر , لا أرى أحداً
 ولا همَّ سوى جرح يصيح بتالد الريح
 وأنفاس تُعدّ وبعض إنشادٍ يخنقه الحداد
 على مشارفِ دجلةٍ
 يصغي لأنفاس المساء
 معتق بالهم والعمر الأخير
 وعندة الليلِ
 وما أدراك ما الليلِ
 وأي الحزن كان ولا يزال
 يداهم الساعات فيه
 هنالك كان مصباح , يمد الروح بالأرقِ
 وكنت أدور فيه بلا هدى
 أستجمع الأنات والليل المسافر يلهب
 الظهر الأخير بسوطه
 ومسائي الدامي وأنثى والصراخ وآخر الشبقِ
 وعودة صاحبي والجرح والدمع المقدس والشظايا
 والنساء وآخر الرمقِ

يا حزن
يا حزن هل ثم ارتجاف فيك دون أصابعي
وقلادة الأمس استحالت فجأة خرزا
وكنت هناك أمشي
يا حزن... هل صافحت نير الروح في أركان عرشي
هل عشقت سوى تلثم طفلة عند الوداع
وكفها تنسل من بين الثياب، مهددا بالبعد والنسيان نعشي
يا حزن آه ما تعبت؟ ومنذ خمس بعد
عشرين تلاحقني
كأني ربة تحنو على رب وأم تلتقي في كل
آن بالندی
والسهد في القلب احتراق
والغناء بلا صدى
لم أنس ذلك اليوم للآن الصباح يصب
في الحزن
لم أنثر ولم أكتب قصيدة
فمتاعب اللغة الفصيحة تعتري قلبي
وتغرقه بعيدا عنك
لا تلغي المسافة فاقتراب من حجاب النور
يحرق كل روما في، أحلامي البعيدة

منذ عام
 منذ عام فات لم تترك لي الذكرى سوى
 عود بلا زهر ولا ورق
 تباطأت الدقائق مرة أخرى
 وليس هناك إبريق يزيق الوقت بالنبضِ
 وها كان المساء على ذراعي ساهر الرفضِ
 وكنت أرتل الآيات
 أين التين والزيتون والنارنج والطور المقدس
 والبلاد وجنتي
 والوحي يستجدي النجوم مساءه الصافي
 وبعض الحب
 أينك يا نجوم
 تعبت من حزني ومن العوبة القدرِ
 تراك نسيت أن تلقي هناك على الشوارع
 خطوتي، شبحي
 وكم باتت تراودني أناشيدي أجيء إليك
 أقطف وردة العمرِ
 وأنسف جثتي باللوم أظهره وأخفيه
 وحين تناثرت رثي
 وشق الصدر كان ظلامه مثل انتظارك موحشا

ما ذنبه إن لم تنيري بعض ضوئك فيه
هذا المسافر منذ عام عافه اللحن
وظل الناي محتنقا
يغص بمائه يسعى إليك
يشيخ فيه الشيب من أناته
والليل ليس يضحج تحت رحاه طحن
تمهل فالسفينة لم تعد للآن
والملاح يكسر دفة الريح
فعد يا قلب خذ آلهة الحزن رفيقا
واندرج في القبر
(ليس سوى المقابر) ذاك تصرّيجي

ومضى العمر

ومضى العَمْرُ

لم يبق سوى بعض الوقت

والنرجس حجره البرد

وكاد العطر يجن حيننا

يبحر حيننا

ويلم الأشرعة التعبى حيننا آخر

تَعَبَ السَّفَرُ

* * * * *

وعلى روعي كان هنالك

بعض ملاك

يفرد أجنحة الفردوس

كلمح البصر

ثم يقاسمني كسرة أحلامي الأولى

كَلَّةَ البَصَرِ

* * * * *

ماذا أعطيك لقد أفلس هذا القلب

وصار اللحن كئيباً مثل الوقت

وحزني آه حزني

غاب القمر الشاحب عنه وغطى بالدمع نوافذه

أَيْنَ الْقَمَرِ

* * * * *

الرعدُ يهدد بالدمع

وحزن أبدي يصحبني مثل الظل

يغازل مطر الروح وينثر برق الليل مداعبة

للفجر

نزل المطرُ

* * * * *

أسمع وقع القبل الحرى فوق شفاهك

والشعر يدلل كالليل

نجوم تماثيل السحر على فهديك

وحسرة أنثى ساعة عري

جَنِّ الشَّعْرُ

* * * * *

لا تستلقي

فوق أريكة روعي ساكنة

يؤلني برد القشر

وهذا اللب الخجل الآن يهدد

أن يحرق بالوجد جهنم عمري

قَطِيفَ الثَّمَرِ

* * * * *

ذا موسى جرحك يفتح بعد الألق

الأول كفني

يا موسى

ألقيت عليك محبة روعي

ولتصنع ليس على عيني

في عيني كنت

فلا تقذف زهرك في التابوت

وتمضي قدرا

حرمت مراضع غيرك بعدك

صُعِقَ الْقَدْرُ

* * * * *

استجدي الحلم الأزرق بعض تفاصيل الوجه

ورعشة عشق أزلي كثفه الخوف

قارورة حسن أسكرني

وجنوب الحسن عجيب سيدتي

أنساني النوم وأرقني

نام السهر

* * * * *

أوقفني حين شرعت أرئم

عزف القيثارة متعبدا

أمسح وجهي

مغتبطا بالليل يذكرني عينيك وصمت جنوبي

ودعائي ما بين المحراب وبين المنير أبكي

سكت الوتر

* * * * *

سأعد القهوة قبل السكر بأول أنفاس الصباح

قبل صياح الديك

وزقزقة العصفور على رمانة جاري

وصلاحي دون إمام

أتوضأ بالعتمة أقرأ قرآن الفجر نشيدا

أتمنى أن أستغفر بالأسحار

شهقة زهرك بعد اللثم

ذهب السحر

* * * * *

أعطيني شيئا قبل الموت

خبيرا عنك

أريد الموت ولكن

ليس قبيل الوصل

فالعمر قصير قبل الوصل

وأنا معترفٌ بالشيبِ
وسَطوِ التبغِ على صدري
وَصَلَ-الخَبَرَ

* * * * *

بلا دليل

سرفوق جمري على هون فخارطي
 أشاغل الوقت والساعات تنهشي
 أستنفذ الروح مرآتي معلقة
 مصلب ذي مساميري و مطرقي
 سرفوق جمري أعيد النار مبتهلا
 لقحت أرحامها بالصبر منتشيا
 مذ عمدوك ينام الماء في حدقي
 أعد فيك سني العمر أضرحه
 (ياحادي العيس عرج) كي أسائلها
 رحماك رأسي يضيق الآن من حزن
 دعوت فارتحفت أشواكه نرفا
 أبني من الحلم صرحا كي تصارحني
 يا دفء صوتك قيثارين ذا غزل
 مات المغني وعاف اللحن حنجرتي
 كم ضيعت مدن الأحلام فارسها
 خرائب الروح لم تسكت نواعبها
 رتل حروفك هبت في بسملة
 غار التراتيل ما باضت حمائم

بلا دليل وظلي سار منفردا
 تذر في مقلتي الحزن و الرمدا
 على الفراغ ورأسي في الرماح غدَى
 تقد من رعشة الأخشاب لي جسدا
 أن تستبيك فكن في غيها رشدا
 تمخضت حمما أو أنجبت بردا
 من دونه لست أدعو في الأسي أحدا
 فأستमित على الشباك مرتعدا
 هل كان ثم سوى الأفلاك ملتحدا
 والزهر فوق الأواني سحره جمدا
 واساقت فوق جفني في المساليدا
 أسبابه سلما فوق الذرى صعدا
 وذا بكاء على الأطلال ماهمدا
 وانسل صوتي بلا استئذان متثدا
 ورحت أبحث في (الصويين) مفتقددا
 والبين دق على أبوابها الوتدا
 (إنا سنلقي) ^(٦) فكن في حملها جلددا
 ولا العناكب ترضى جحره بلددا

(٦) قرآن كريم

وأنت لا صاحب في الغار مؤتمن
 وسرت تتبعك الأيام لاهثة
 فأنت وحدك صوت والدعاة صدى
 كانت دماك سماء لي وأجنحة
 وذو الكلاب إذا هرت مراوغة
 حاشاك ينخر فيك الدود منسأتي
 سر فوق جمري نذرت العمر يا وطننا
 ولا قريب علي فرش الردى رقدا
 فما تنفس في تاريخها الصعدا
 يدعون ودا وتدعوا واحدا أحدا
 وللشياطين نجما ثاقبا رسدا
 تمثالك الحي تلقى روحك الأسدا
 لولاك أنت غرامي فيك ما خلدا
 قربان روحي في محرابه سجدا

أصوات يحيى (٧)

وأسأل الروح عن أنات أيامي
 ماض يقلب صوت الناي قدامي
 أم أني لحظة في تيه أعوامي
 وتخرس الريح أنفاسي وأنغامي
 أنصاب تاريخي المدمى وأزلامي
 لخر يسجد في محراب آلامي
 أكاد أكفر يا تلمود أوهامي
 تسوقني دون وعي نحو أحلامي
 وتستعيد من النيران أنسامي
 تطوف ما بين تكبير وإحرام
 وليدها بعد تعذيب وأسقام
 يحيى... أنادي وفي رأسي وأقدامي
 حتى تبيت نسائي دون أرحام
 فلا تلمني إذا مصممت إهامي
 بين (الملاعيب) في نقض وإبرام
 أشتاق إقدامي الدامي وإحجامي
 قد أحرق الظمأ الطاغوت أكمامي

أطرقت استنجد الذكرى بلا أمل
 حزينه أمسياتي صار حاضرها
 ماذا أنا؟ هل أنا روح بلا جسد؟
 تجتاح ألف من الأحزان ذاكرتي
 سافرت أستنجد الآمال ممتطيا
 وبى جراح لو ان الدهر يعلمها
 أكاد أفرغ صبرا يا صروح دمي
 لم يبق في سوى أشياء أجهلها
 أصوات يحيى بهذا الليل توقدني
 وتسكر البيت فالأحجار راغمة
 حتى تراني كأني مرضع فقدت
 يحيى... أنادي وملح الأرض يخنقني
 زلازل تستبيح النبض هازئة
 أشتاق للثدي يسقيني خطيئته
 أشتاق لللعب المجنون أنثره
 أشتاق للبعث القدسي يا ولدي
 أين الطفولة يا يحيى لأشربها

(٧) ابن أخي الصغير

من أمير الليل (٤١)

تدحرج الشعر

واصمت ستنكر ما أبقى لنا الألم
 كؤوس أدمعنا، ترتادها الدم
 يخبرك أنا بنار النار نضطرم
 شعرا ونثرا وأنا البان والعلم
 ما زال منا رضيعا ليس ينفطم
 تيرنا في ظلام الظلمة القيم
 بأننا خير من تسعى بهم قدم
 حتما ستعلم أن الدمع فيه دم
 قصائد الصمت لم ينطق بهن فم
 حلم طروب بنا يغتاله الصمم
 يجرجر الآه يا لله يا حلم
 كل الأساطير في كفيه تلتحم
 تدحرج الشعر فاصمت أيها القلم

تدحرج الشعر فاصمت أيها القلم
 ودع مداد بحار الأرض مرتشفا
 واستفت عنا تراب الروح في دمننا
 صبابة وهوى عشقا وأغنية
 وأنا مذ جبلنا الطيب يألفنا
 وأنا روح الروح ما فتأت
 حسب التراب إذا ما جر مفتخرا
 مللم فتاتك واقضم عشب أدمعنا
 وأنا قد كتبنا في الزمان لنا
 روى جذور الهوى فيهن محترقا
 لا الأرض أرض له إذ ماد مرتجفا
 يبعثر الشيء واللاشيء يجمعه
 حتى إذا ما تجلى صاح منتفضا

لا تسألوا عن أشيائي

أتراك تذكر أم نسيت طقوسنا الأولى
الصباح يدلل السحر القديم الليل ينفجر
- اشتياقا فيه .

كان هناك قلب أوحده يفضي لنهر عقه المجداف كان ولم يكن
النهر ذاب وفي عيونك غوره والنورس الصيفي حلق عاليا
يستوقد الموج انكسارا والربيع نداه دونك ميت والريح
لي كفن ، أنا قد مت مثل ربيع ذاك العام لم ينشق
شذى النرجس لم يستقبل العصفور بالفل ، وها جسدي
بلا ورق ولا زهر أمد إليك جذعي يستبيح الدود أطراف
ويعطيني البقايا يا قرون القحط يا زميني ويا حبي
ويا أشيائي التعبى وضاع الزهر كان الماء في كفي
ولا كأس وذا (مثل اليلم الماي)^(٨) أينك يا نجوم تعبت
من ذكراك فوق العشب أو فوق كرسي النواعير التي أحرقها
العشق وماتت ضمناً تقعات من شهقاتك الكسلى ، أصابعك
المرية تزحف الصحراء تلمس الندى من كفي التعبى فأصرخ
مثله (مثل اليلم الماي) يا حزني أنا قد كنت كيف اليوم
أهرب من نشيد الأمس أتعبني اللهاث على سراويل النساء
وقبعات الوقت ، أتعبني التحفظ والتيقظ والنداوة والجفاف

(٨) مقطع من أغنية عراقية

وهمهمات الحب والنظرات تقلقني تحطم لوحتي زيتا
وتعطيني لفرشاة التحفظ والתיقظ و ارتعدت ، كم
ارتعدت أيا إلهي هل هو الخوف الذي قدرته أن يمسك الروح
احترقا منذ أول قبلة كانت لنا ، للآن أسمع صوتها جرسا
أذوق نبيذها وأشم زهرة نرجس الأطفال في
ثدي الزهور.

والمس موج ذاك البحر جاء إلي من جنح الظلام مسافرا
متأخرا

أو أنظر ال..... ماذا ؟ أكفر يا إلهي أنت من صنعت
هذا الصنم العاري من التمر وقلت اقرأ قرأت فكان هذا الشعر
قرآنا ، وكان الليل ، كان الحزن ، كان الأمنيات بعيدة
تمضي لماذا يا إله أفي الصباح صباحنا ، أم أن هذا الليل
يبقى بيتني العش الحزين كأمس يارب المساء أعد إلي النور
أعشى من سراب الأمس واليوم الشبيه بأمسه والذكريات بعيدة
مثل الندى في العشب بعد الصيف يا ويلي من الآهات كم
أجترها ، قد فات وقت الحب.

يتبختر الحب ، الرداء الليليكي يلفه حيناً ولا جدران للمأوى
ولا مفتاح للقبو الأخير أضاعه السجان وانفرد القطيع يجوب
صحراء التهتك لا مبالاة ويبحث عن سرادق يوصل النيات
للقبو.

وكرسي اعترافي ضج يرمق نخلسة رأسي ويزدهر البغاء على
جوانبه ، حزينا بح صوت الناي

أذهلني تفتت حبز ذاكرتي إلى آنية الحزن ونهد دافئ فيه الغواية

روضت سيماء وجهي - هزني السجان -

- (هل غادرت مملكتي ؟)

رضابك يلسع الشفتين بالحمى ابردي

- (لا بد انك قد جنت)

جنت بالشعر الذي ينساب بالحناء والعطر الفراقي الأريج وساعدك
على جوانبه يجاذبه الغرق.

- (بوركت يا ملك العرق ، أتراك تسكر) ؟ أسكرتني خمرك العذراء

عف الروح أن ينفخ فيها بشرا مثلي ، وهذي النهنات تسيل غفرانا
من القبل الأخيرة

- (أين أشياءك ؟ قل لي) نهشتني حية البئر

لأنني كنت عشبك^(٩)

كنت صبك

كنت ربك

يا قوارير اشهدي لي بالتفرد والضياع على مشارف قصرها الذهبي

كوني لي خلاصا

مات يوحنا ، وكذبتني اليهود ثلاث مرات ، دمي خمر

(٩) إشارة إلى ضياع عشب الحياة من كلكامش بأن ابتلعها حية.

وذا جسدي أقربه سماء للحكايات الصغيرة بيننا وبريق
 عينيك الكريم يظل يدعوني إلى المفتاح ، والجسد المندي
 جسم محتضر تشممه لي الذئب الكمين بأنفي التاريخ يا
 (شم الأنوف من الطراز الأول) (١٠) احتفلوا ، عشائي تم حولي
 الآن ، أصحابي ، تلاميذي
 وأوقن بالصليب ككوكبٍ دري مقتربا يشعشع
 - (أين أشياءك قل لي)

سَبَّحَ العَطْرُ وِغْنَى

(لا تسافر يا حبيبي لا تسافر) (١١)

أنت شاعر

لا مقامر

روضتني رنة اللحن وشلت نصفي الأسفل فاستغنت نساء الغرفة

المبغى عن النصف الذي ظل نشيطا

واستباححت في أزهار الجنائز في عيوني الخضر من روح التسكع

في مزاريب التعاويد المريية والصدى المجتث من آلهة البحر

القديمة

يا نوارسٍ حومي حينا على أكتاف جثة ذلك العاري سوى

من بعضٍ أشياءٍ ... تبقت ...

(١٠) عجز بيت لحسان بن ثابت تمامه (بيض الوجوه كريمة أحسابهم
 شم الأنوف من الطراز الأول)

(١١) مقطع من أغنية عراقية.

- (أين أشياؤك ؟ قل لي)

سكت الشاعر حيناً فانبرى الرب يجاوب : قل (تسؤكم)

يشكر الشاعر جميع من ساهم في إخراج هذه
الجموعة المتواضعة والذين كانوا يحفرون الأليم
بأصابع من فولاذ

الفهرست

ت	اسم القصيدة	صفحة البداية
١	مزامير الليل	٣
٢	لغتي تنازع	٥
٣	يا أبانا	٨
٤	ليس لي وداع	١٠
٥	جنبة الدمع	١١
٦	هاك اصطباري	١٣
٧	العيد يكذب	١٥
٨	تسايح كربلائية	١٨
٩	حائط المبكى	٢٠
١٠	كانت و كنت	٢٥
١١	الفانوس الشرقي	٢٦
١٢	ظلال المرايا	٢٧
١٣	كفرت فيك	٢٨
١٤	تصريح (ثنائية الحزن والنجوم)	٣٠
١٥	ومضى العمر	٣٤
١٦	بلا دليل	٣٩
١٧	أصوات يميني	٤١
١٨	تدحرج الشعر	٤٢
١٩	لا تسألوا عن أشيائي	٤٣



- مهند ناطق صالح محمد الحديثي
- ولد في حديثة - الحويجة عام ١٩٧٣
- انهى دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها وتخرج من اعدادية حديثة عام ١٩٩١ - ٩٠ .
- حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية من جامعة الانبار عام ١٩٩٧ .
- له نتاجات منشورة في الصحف المحلية .
- ترجم له وعرض بعض نتاجاته الدكتور ((بهجت عبد الغفور))
- استاذ الادب العربي القلم بكلية الاداب - جامعة بغداد في كتابه ((النواعير)) .
- يعمل حاليا مهندسا في الشركة العامة للفوسفات - القائم .
- له دواوين معدة للنشر .

طبع بموافقة وزارة الثقافة والاعلام المرقمة ٧٤٩ في ١١ / ٩ / ٢٠٠٠

تصميم الغلاف / المهندس معاذ محمود دلتلي آل جعفر .